الإبـــــــــــــــداع والابتكـــــــــــــــار

الاختراعات في حياتنا

الِاخْتِرَاعَاتُ وَالْإِبْدَاعُ هُمَا الْمُحَرِّكُ الَّذِي دَفَعَ الْبَشَرِيَّةَ نَحْوَ آفَاقٍ لَمْ تَكُنْ تَخْطُرْ بِبَالٍ. فَمُنْذُ عُقُودٍ، بَدَأَ الْإِنْسَانُ رِحْلَتَهُ نَحْوَ الِاكْتِشَافِ وَالِابْتِكَارِ بِخُطًى ثَابِتَةٍ، وَهَا هُوَ الْيَوْمَ يَسِيرُ بِخُطًى حَثِيثَةٍ وَسَرِيعَةٍ، لِيَصِلَ إِلَى تَطَوُّرَاتٍ مُذْهِلَةٍ فِي مُخْتَلَفِ الْمَجَالَاتِ.

فِي التَّعْلِيمِ، أَصْبَحَتِ التِّكْنُولُوجْيَا كَالْمِصْبَاحِ الَّذِي يُنِيرُ الدُّرُوبَ، تُسَهِّلُ الْوُصُولَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ عَبْرَ الْإِنْتَرْنِتِ وَالْأَدَوَاتِ التَّفَاعُلِيَّةِ. وَفِي الصِّحَّةِ، تَحَوَّلَتِ الْآلَاتُ إِلَى أَيَادٍ سِحْرِيَّةٍ، فَقَدْ غَيَّرَتِ الْأَجْهِزَةُ الْحَدِيثَةُ مِثْلَ الرُّوبُوتَاتِ الْجِرَاحِيَّةِ وَالْأَشِعَّةِ الْمُتَطَوِّرَةِ مَسَارَ الْعِلَاجِ، مَا مَنَحَ الْأَمَلَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمَرْضَى. أَمَّا فِي أَعْمَاقِ الْبِحَارِ، فَقَدْ أَصْبَحَتِ الْغَوَّاصَاتُ كَعُيُونِ الْإِنْسَانِ الَّتِي تَغُوصُ فِي الظُّلُمَاتِ لِتَكْشِفَ عَنْ أَسْرَارِ الْكَائِنَاتِ الْبَحْرِيَّةِ الْغَامِضَةِ وَالْمَوَارِدِ غَيْرِ الْمُسْتَغَلَّةِ الْمَدْفُونَةِ تَحْتَ الْأَمْوَاجِ. لَمْ يَتَوَقَّفِ الْإِنْسَانُ عِنْدَ الْأَرْضِ، بَلِ امْتَدَّتْ أَيْدِيهِ إِلَى الْفَضَاءِ، هَذَا الْمَجْهُولُ الْبَعِيدُ، فَأَصْبَحَ سَاحَةً لِلْإِنْسَانِ لِيَسْتَكْشِفَهُ بِأَجْنِحَةِ مَرْكَبَاتِهِ الْفَضَائِيَّةِ، مِثْلَ الطُّيُورِ الَّتِي تَطِيرُ بِلَا حُدُودٍ، حَيْثُ وَصَلَ إِلَى الْقَمَرِ وَأَبْعَدَ الْكَوَاكِبِ بَحْثًا عَنْ أَسْرَارِ الْكَوْنِ.

هَذَا التَّقَدُّمُ الْمُذْهِلُ بَاتَ مِثْلَ الشَّمْسِ الَّتِي تُشْرِقُ كُلَّ يَوْمٍ لِتُحَسِّنَ حَيَاةَ الْبَشَرِ، وَتَجْعَلَهَا أَكْثَرَ رَاحَةً وَإِشْبَاعًا لِفُضُولِ الْإِنْسَانِ الَّذِي لَا يَنْطَفِئُ. وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ لِهَذِهِ الشَّمْسِ ظِلَالًا، مِثْلَ التَّلَوُّثِ الْبِيئِيِّ الَّذِي خَلَّفَتْهُ الصِّنَاعَاتُ، أَوِ الْخَطَرِ الَّذِي يَكْمُنُ فِي الِاعْتِمَادِ الْمُفْرِطِ عَلَى التِّكْنُولُوجْيَا. لَكِنْ رَغْمَ تِلْكَ التَّحَدِّيَاتِ، يَظَلُّ الِابْتِكَارُ هُوَ الْمِفْتَاحَ الذَّهَبِيَّ الَّذِي يَفْتَحُ أَبْوَابَ الْمُسْتَقْبَلِ، وَيُضِيءُ الطَّرِيقَ نَحْوَ مَزِيدٍ مِنَ الطُّمُوحَاتِ.

رحلة إلى أعماق الكون

مُنْذُ أَنْ تَفَتَّحَ الْكَوْنُ أَمَامَ أَعْيُنِ الْبَشَرِ عَبْرَ شَاشَاتِ التِّلِسْكُوبَاتِ وَمُعَدَّاتِ الْفَضَاءِ الْحَدِيثَةِ، دَخَلَ الْإِنْسَانُ فِي رِحْلَةِ اسْتِكْشَافٍ تَتَجَاوَزُ حُدُودَ الْأَرْضِ إِلَى أَعْمَاقِ الْفَضَاءِ اللَّامُتَنَاهِيَةِ. مَعَ كُلِّ اكْتِشَافٍ جَدِيدٍ، يَبْدُو أَنَّ الْكَوْنَ يَكْشِفُ عَنْ أَسْرَارٍ جَدِيدَةٍ، كَأَنَّمَا هُوَ كِتَابٌ مَفْتُوحٌ يَحْمِلُ قَصَصًا لَمْ تُرْوَ بَعْدُ.

تَسْبَحُ الْكَوَاكِبُ مِثْلَ كُرَاتٍ عِمْلَاقَةٍ فِي بَحْرٍ لَا نِهَائِيٍّ مِنَ النُّجُومِ. كُلُّ كَوْكَبٍ لَهُ أَسْرَارُهُ؛ الْمِرِّيخُ أَحْمَرُ اللَّوْنِ وَكَأَنَّهُ يَغْضَبُ، وَزُحَلُ يَصْنَعُ حَلَقَاتٍ كَأَنَّهَا قِلَادَةٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ! أَمَّا الْأَرْضُ فَهِيَ وَاحَةٌ زَرْقَاءُ، مَلِيئَةٌ بِالْحَيَاةِ. فِي هَذَا الْكَوْنِ الْوَاسِعِ، نَجِدُ أَيْضًا ثُقُوبًا سُودَاءَ تُشْبِهُ فَمًا كَبِيرًا يَبْتَلِعُ كُلَّ شَيْءٍ يَقْتَرِبُ مِنْهُ. وَهُنَاكَ نُجُومٌ تَنْفَجِرُ مِثْلَ الْأَلْعَابِ النَّارِيَّةِ فِي السَّمَاءِ! عَالَمُ الْفَضَاءِ أَرْوَعُ مِنَ الْخَيَالِ!

الْأَقْمَارُ الصِّنَاعِيَّةُ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ الْأَرْضِ تَنْقُلُ لَنَا صُوَرًا مُدْهِشَةً مِنَ الْفَضَاءِ، تُسَاعِدُنَا عَلَى فَهْمِ الْكَوْنِ وَالتَّوَاصُلِ مَعَ الْأَرْضِ، كَأَنَّهَا عُيُونُ الْفَضَاءِ الَّتِي تَرْصُدُ أَحْدَاثَ السَّمَاءِ وَتُشَارِكُهَا مَعَنَا.

الْفُضُولُ الْبَشَرِيُّ هُوَ شُعْلَةٌ تُضِيءُ الدُّرُوبَ نَحْوَ الْمَجْهُولِ، وَيَدْفَعُنَا لِلتَّسَاؤُلِ: مَا الَّذِي سَيَكْتَشِفُهُ الْإِنْسَانُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ؟ هَلْ سَنَجِدُ كَوَاكِبَ جَدِيدَةً تَعُجُّ بِالْحَيَاةِ، أَوْ نَحُلُّ أَلْغَازَ الْكَوْنِ الَّتِي حَيَّرَتْنَا لِقُرُونٍ؟ إِنَّ رِحْلَةَ الِاسْتِكْشَافِ هَذِهِ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ مُغَامَرَةٍ، بَلْ هِيَ دَعْوَةٌ لِلْمَعْرِفَةِ وَالتَّأَمُّلِ فِي عَظَمَةِ الْكَوْنِ، الَّذِي يُظْهِرُ لَنَا أَنَّ كُلَّ نَجْمٍ يَحْمِلُ قِصَّةً، وَكُلَّ كَوْكَبٍ يُخْفِي أَسْرَارًا تَنْتَظِرُ مَنْ يَكْتَشِفُهَا.